مهلا مرة اخرى . . يا أستاذ أبو الفتح

الماضى قبل الثورة كريه .. وكريه جدا

بقلم : موسى صبرى

مرة اخرى .. يكتب الزميل الكبير الاستاذ احمد ابو الفتح فى هذا العدد ـ معلقا على كلمتى اليه يوم الاحد الماضى .

والاستاذ أبو الفتح برحب بالديمقراطية فى عهد السادات ، التى حقق تبادل الرأى بكامل الحريه دون خوف من اعتقال او تشريد .. وهذا حق . ولست على خلاف مع الكاتب الكبير فى كل ما يمكن ان تحققه الديمقراطيه من ثمار ، اولها انه ليس هناك انسان فى هذا الوطن ، فوق القانون ، وفوق المساءلة .. وان نشر الرأى هو المبدد لكل همسات الهامسين فى الظلام ، الذين يضمرون النوايا السيئة ، للديمقراطية التى يحققها السادات .

ولا يمكن ان اختلف مع احد ، على هذا المعنى ، حتى ممن اقرا لهم، واراهم يشوهون الحقائق فى ظل الحرية .. ويحاولون النيل بالاسلوب الملتوى ، من الجو الديمقراطى الصحى الذى نعيشه هذه الايام ، ولا ينكره الا جاحد او حاقد .. والاستاذ ابو الفتح يعرف هؤلاء ، كما اعرفهم .

ولكننى اختلف مع الصديق ، فى النهج الذى اتبعه فيما يكتب ، منذ عودته ـ مرحبا به الى ارض وطنه ـ من منفاه اكثر من عشرين عاما ، اختلف معه فى الحديث عن الحياة السياسية فى مصر قبل الثورة ، وكانها كانت ازهى العصور حرية وديمقراطية وطهارة حكم .

ولو كان حل ما نحن فيه من مشكلات قاصمة ، هو العودة الى ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ، فهذه هي البلوى والبلاء . بل هي الغاء لكل المبادىء التى قامت الثورة لتحقيقها ، واستجاب لها الشعب استجابة كاملة لانه شعر بالبؤس بافتقادها .

• • •

ولا يعنى كلامى ايضا ، ان ما جرى خلال حكم الثورة منذ عام ١٩٥٢ حتى وفاة جمال عبد الناصر ، كان ناصعا ومعصوما من الخطأ ، بل ان التجربة الثورية وقعت فى عديد من الخطايا قبل الاخطاء . واخطرها فى رأيى ، هو حكم الفرد ، وامتهان الحرية الانسانية ، واهدار الرقابة الشعبية . ولكن حكم الانصاف يقتضى ان نعرف بان ثورة ٢٣ يوليو غيرت خريطة المجتمع المصرى ، وحطمت الاحتكار الاقتصادى ، والغت حكم النصف فى المائة ، ووضعت جذور عدالة اجتماعية ما كان يمكن ان تتحقق فى عشرات السنين ، والاقطاع هو المسيطر ، ورأس المال هو الذى يؤلف الوزارات . لا يمكن ان يجحد ابدا ، تحديد الملكية الزراعية مهما شاب التطبيق من عيوب . لا يمكن ان يجحد ابدا التأمينات الاجتماعية للعامل المصرى ، مهما قست الظروف الاقتصادية اليوم . ولا يمكن أن ندافع فى الوقت نفسه عن تخلف القرية المصرية، واستمرار نسبة الامية بل ارتفاعها .. ولكننا نضع فى الكفة المقابلة التعليم المجانى فى مختلف مراحله ، والتوسع الجامعى الذى استقبل

((البقيـــة ص ٤))

مهلا مرة أخرى . . يا أستاذ أبو الفتح

الماضى قبل الثورة كريه .. وكريه جدا

بقية مقال موسى صبرى

فى رحاب العلم كل مصرى بدرجات تفوقه .. واصبح للبواب ابناء فى الجامعات ، واصبح لفلاح الاصلاح الزراعى الابنة الطبيبة والمهندسة .

• • •

هذا التغيير الاجتماعى الجذرى ، هو ما يجب أن نعترف به لتجربة ثورة ٢٣ يوليو .. ومن هنا نلمس صيحات العمال والفلاحين الآن خوفا من فكرة الاحزاب .. لانهم يخشون أن تحمل فى طياتها معنى العوده الى ماضى ما قبل الثورة . وقد كان العامل فى هذا الماضى سلعة تباع وتشترى .. ولا ادل على ذلك من أن بعض العمال المستفيدين من الماضى ، اقترحوا انتخاب فؤاد سراج الدين ممثل الاقطاع فى حزب الوفد رئيسا لهم مدى الحياة !! .. وفؤاد سراج الدين هو الذى رفض ، عند قيام الثورة ، قانون الاصلاح الزراعى . وكان طبيعيا منه أن يرفض .. ولست فى حاجة الى حديث عن وضع الفلاح الاجير المعدم الذى فرض عليه ان ياكل فتات ملاك عشرات الالوف من الافدنة ، وان كنا لا نزال فى حاجة الى نضال جماعى مضاعف لانقاذ الفلاح المصرى ، الذى لا يزال فى شريحة المفترى عليهم .

• • •

هذا هو خلافى مع الاستاذ ابو الفتح ..

علينا ان ننقد . علينا ان نكشف عن كل انحراف . علينا ان نناقش مصير بلدنا وارضنا ووطننا ، من منطلق الطين المصرى ، وبكل الحرية.

ولكن علينا فى الوقت نفسه ان نسير فى الاتجاه الصحيح .

والاتجاه الصحيح ليس عودة الى الماضى قبل أن تتغير خريطة هذا المجتمع .. الاستمرار هو الطريق السليم .. والاستمرار هو الذى دعا الى ثورة ١٥ مايو التى اعادت الحقوق السياسية للمواطن ، لكى تواكب حقوقه الاجتماعية التى حققتها ثورة ٢٣ يوليو . والاستمرار هو الذى دعا الى ورقة اكتوبر .. وهو الذى دعا الى أوسع المناقشات الحرة عن المستقبل السياسى والديمقراطى .

• • •

واذا قلنا بالانفتاح الاقتصادى .. فلا يعنى ذلك هدما للبناء الاجتماعى ، بل يعنى تدعيما له .. لكى يعم الخير الجميع ، دون ان يفيد قلة معدودة بمال حرام .. هم هيئة المتخمين بالعمولات والتهريب والرشوة واستغلال مواقع النفوذ !.

واذا قلنا بالانفتاح الديمقراطى .. وبالبناء الحزبى .. فنحن نعنى احزابا تعبر عن افكار وخطط تكمل الطريق فى مساره الطبيعى الى الامام .. ولا نعود بنا الى احتكارات عبود (٣٢ مليونا من الجنيهات) التى كانت تشترى الوزارات .. أو الى تبعية لاية قوة أجنبية كبرى.

• • •

وتجربة ثورة ٢٣ يوليو ، ليست فوق النقد . بل ان صفحات الصحف تحولت معظم سطورها فى الآونة الاخيرة الى نقد مستمر .. ولم يتدخل احد لوقف النقد ، أو لحماية احد . ولكن الاتجاه فى النقد المباح وغير المباح ، الى ان كل ما جرى فى التجربة الثورية سوء وظلام وخراب وتخريب .. هذا الاتجاه ضار كل الضرر . لانه اولا لا يقنع ، ولانه ثانيا لا يمسك بميزان عادل . لان هناك الخير والشر فى كل شىء فى هذا الوجود . وهو يتيح الفرصة لمن يرتدون الاقمصة هذه الايام ، وما اكثر الوانهم .. وما اسوأ مقاصدهم ، بان يصوروا صحافة مصر واقلام مصر ، وكأنها تخصصت فى تجريح ثورة ٢٣ يوليو ، بل فى الغائها ..

• • •

نعم .. ان أنور السادات تلقى تركة مثقلة بالاوجاع والجراح .. ولكن الرجل لم يتهرب من المسئولية . ولم يحاول أن يلبس ثوب بطولة فى غير ميدان . لقد صحح المسار .. ألغى الحراسات .. احترم قدسية القضاء . أرسى أولى لبنات الديمقراطية .. حرر البلاد من الوجود العسكرى السوفيتى .. قاد حرب اكتوبر الى النصر .. حطم الستار الحديدى الذى فرض على انتاجنا واقتصادنا ومصانعنا وعقولنا .. ولا يزال سائرا بالامة فى الطريق الصحيح ..

• • •

فلتكن كلماتنا اذن دعما للطريق الصحيح .. بكل حرية الكلمة .. وبكل امانة النقد .. فلا سلامة الا بالرأى المعارض . والديمقراطية ليست ترفا . ولكنها صمام أمن وأمان حقيقى لمسيرة الشعب المصرى نحو البناء السياسى والبناء الاقتصادى ، ونحو ارساء العلاقات الانتاجية والعلاقات الاجتماعية ، على روابط العدل الاجتماعى، والحب المتأصل فى طبيعة الشعب بلا احقاد انتجها سوء التطبيق الاشتراكى، ولمتها الجاهات تريد صراعا طبقيا دمويا .

والمستقبل يحمل لنا كل دلالات التفاؤل ..

القاعدة الاقتصادية العربية فى طريقها الى النمو

البترول المصرى سيتدفق ..

موارد القناة ستتزايد ..

الاستثمارات المصرية العربية ستتشمخ ..

هذا التفاؤل ، لا يشوهه الا حديث متصل يوحى بالرغبة فى العودة الى ماض كريه .. وكريه جدا قبل ثورة ٢٣ يوليو .

• • •

ولا يعنى هذا اننى الغى التاريخ ، وأمسح بجرة قلم نضال شعب مصر فى سبل الحرية والاستقلال .. فهذا هو الجنون بعينه .. وهذا يمثل اكبر اهانة للشعب المصرى . ولكن تقييم التاريخ النضالى فى سبيل الاستقلال هو انه انتهى الى لعبة الاحزاب، والى لعبة الديمقراطية .. والى سيطرة كاملة من السفارة البريطانية وقصر الملك وزبانيته . والى احزاب كلت حتى اجهضت ، وتآكلت حتى تراجعت عن نضال ثورة ١٩١٩ وسيطر على حزب الغالبية اقطاعى كبير هو فؤاد سراج الدين

• • •

لا خلاف اذن مع الصديق الكبير احمد ابو الفتح .. على كل آمال الحرية والديمقراطية .. ولكن الخلاف هو فى دعوته الى الماضى .. وهى دعوة لا نقرها .. ولن نقرها .. بل هى دعوة مخيفة حقا .